تجارب الاقتراب من الموت
NEAR DEATH EXPERIENCE (NDE)
(دراسة علمية دينية)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن عالم الغيب من القضايا التي أخذت مساحةً واسعةً في جدل الفلاسفة والمتكلمين وجوداً وعدماً، كما استحوذت على نقاشات المفكرين الجدلية، حتى كتبوا في ذلك سجلاتٍ كثيرة منذ زمن بعيد.

إلا أن الأديان كلها حسمت هذه المسألة، وقرّرت أن هناك عالماً غيبياً يبدأ من دنيا البشر، حيث تتقاطع حياة الإنسان مجموعة من الغيبيات إلى جانب حياته المادية، فالنفس البشرية تعتريها في المنام الأحلام والرّؤى التي تشتمل على مشاهد متنوعة من الإيجابيات والسلبيات، والخير والشر، والسلام والتوتر، إلى غير ذلك من عوالم المنامات.

فضلاً عمّا تشعر به النفس البشرية من إرهاصاتٍ قبل أن تقع، كالحدْس الذي يدل على توجيهات تنبع من أعماق الرّوح الإنسانية، ترشده إلى قرارات فورية، ومدركات حقيقية أو إشارات عقلية تكون في معظم الأحيان لا تخضع لوعيٍ دقيق.

من هنا جاء هذا البحث ليثبتَ أن الحياة ليست مادةً صرفة، إنما المادة قسيم الغيب، والشهادة يقابل الغيب، وأن الغيبيات التي يشعر بها الإنسان مما ذُكر آنفاً إنما هي توطئةٌ لعالم الغيب الأكبر، الذي يجتمع فيه الناس للحساب والجزاء.

يقول الاستاذ الدكتور فتحي نعينع ما يلي: (منذ فترة طويلة ومحاولاتي مستمرة لإيجاد تفسير لأحداث وقصص حقيقية علقت بذاكرتي ولم يمحها مرور الزمن، لعل أبرزها قصة تلك السيدة الطيبة التي كانت منومة بالمستشفى والتي أفاقت من الغيبوبة وهى مبتسمة لا تخفى سعادتها عندما رأت اطفالا غاية في

الجمال يحيطون بالسرير الذى ترقد عليه وهذا النور الساطع الذى يملأ الغرفة فسألت زوارها عن ذلك وبالطبع لا احد منهم كان يرى أي شيء من هذا.

بلغني هذا الموقف فقمت على الفور بالاتصال بزوجها فرد عليّ بصوت مرتجف، وهو يجهش بالبكاء قائلاً: لقد ماتت الآن بعد إفاقتها من الغيبوبة، ورأت أولادها وإنا لله وانا إليه راجعون.

وقع في خاطري أن ما حدث لم يكن من قبيل الهلوسة أو التهيئات، وإنما ربما بسبب أن بصرها صار حاداً بعد أن رفعت الحجب، أما رؤيتها لهذا النور الساطع فقد ذكرني بقول الله تعالى: (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (الحديد: 12).

من المعلوم أن قدرات حواسنا محدودة لحكمة يعلمها الله، لتتناسب مع معيشتنا على الأرض ولذلك لا نستطيع أن نجد تفسيراً واضحاً لكل شيء، ولكن ظل هذا الموقف محفوراً بذاكرتي بكل تفاصيله. مرّت السنين وإذا بالدكتور (محمد جميل الحبال) حفظه الله يحدثني عن تجارب الاقتراب من الموت التي انتشرت كثيرا فشعرت أن الله قد ألهمه وأن حديثه لي قد يحمل مفتاحاً لهذا اللغز!، شجعنا هذا التواصل على إعداد هذه الدراسة المشتركة المذكورة أدناه حول تجارب الاقتراب من الموت، وهي دراسة أولية تتناول الناحية العلمية الدينية عن هذا الموضوع، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا الى الحق وما يحبه ويرضاه) انتهى قوله.

توطئة:

لا أحد يعرف شيئاً عن مصير الموتى، فيتمنى الأحياء لو كشفت الحجب ليتعرفوا على أحوالهم، أما الأموات الذين تيقنوا من أن وعد الله حقاً، بدورهم يريدون أن يبشروا ويخبروا الاحياء بما وجدوه يوم القيامة، ولكن يبقى كل هذا من قبيل التمنيات المستحيلة التي لا سبيل لتحققها وتبقى أحوال الموتى في عالم الغيب، إلا ما أخبر به الله تعالى في القرآن الكريم ونبيه عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه من الأحاديث.

استغل أصحاب الأهواء والملحدون هذا، فراحوا يشككون في وجود حياة أخرى بعد الموت، ويكذبون بيوم الدين، وراحوا يكررون ما سبقهم به أسلافهم في الماضي كما في قول الله تعالى: (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) (المؤمنون: 37).

إلا أنه ظهر حديثاً من مرّوا بتجربة القرب من الموت، ثم استأنفوا حياتهم الطبيعية ليخبرونا بتجربتهم وبما رأوه، علما بأنهم من أماكن متفرقة من العالم، ولديهم معتقدات مختلفة، ولكن في النهاية هم جميعا مخلوقات الله من البشر.

النفس الإنسانية تتألف من الروح والجسد، وذلك بعد نفخ الروح في جسد الجنين بعد 120 يومًا من بداية الحمل على أغلب الأقوال، حيث ورد في الحديث النبوي الشريف الصحيح على شرط الشيخين والذي يوضح تقلب الجنين في ثلاثة أطوار (نطفة، علقة، مضغة) يستغرق كل منها 40 يومًا ليكون المجموع أربعة أشهر او 120 يوما. والنفس الانسانية ما بين حالين اما الخلود كما في الحياة الآخرة او الوفاة كما في الدنيا.

الوفاة تعنى مغادرة الروح للجسد، إما مؤقتا كالنوم (الموتة الصغرى) أو نهائياً كالموت (الموتة الكبرى) كما جاء في قوله تعالى: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الزمر: 42).

وكل النفوس لها أجل بنهايته تموت ويفنى الجسد الذي نعرفه في الدنيا، ولا يبقى منه إلا عجب الذنب كبذرة ينبت منها يوم البعث، كما تنبت النباتات من البذور.

أما الروح فهي باقية وتصعد إلى خالقها في انتظار العودة للجسد يوم الحساب، لتتكون النفوس مرة أخرى بمواصفات جديدة لتحصد نتائج سعيها في الدنيا بما يتناسب مع الحياة الابدية. يقول الله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (آل عمران: 185).

أما الخلود في الجنة فيعنى أنه لا نوم ولا موت (أي لا وفاة) وهذا هو معنى الخلود كما جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سُئل: يا رسول الله، أينام أهل الجنة؟ فقال: النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون (البزار والطبراني والبيهقي وصححه السيوطي والألباني).

ولكل من الروح والجسد خصائص مختلفة لكن وجود الروح في الجسد يكبلها ويخضعها للقوانين المادية المكانية والزمانية، فإذا ما تحررت فلها قوانين اخرى لا يحدها المكان ولا الزمان ولا محدودية قدرات الحواس الجسدية التي نعرفها في الدنيا كالسمع والبصر وغير ذلك.

كما أسلفنا النفس الإنسانية لها ثلاثة أحوال النوم أو الموت (الوفاة) أو الخلود، ولكن تم توثيق حالة جديدة غير ذلك وهى (تجربة الاقتراب من الموت). وهناك من خاضوا هذه التجربة التي تم توثيقها سواء ممن مروا بها أو من الأطباء والباحثين من مختلف التخصصات في بقاع مختلفة من العالم الذين قاموا بتوثيقها ونشرها.

وهذه التجارب تعنى أن هناك من ماتوا سريريا بالفعل لفترة زمنية نتيجة سكتة قلبية أو دماغية، وتوقف العلامات الحيوية تماماً، ثم انتعشتْ وظائف الأعضاء لديهم، وزاولوا حياتهم الطبيعية مرة أخرى، ليستوفوا أجلهم المسمّى.

ولعل هذه التجربة موجودة منذ القدم ولكن توثيقها انتشر في العصر الحديث وذلك نظراً لوجود الانترنت، ووسائل التواصل، وسهولة نشر هذه الخبرات والتجارب.

وتجربة الاقتراب من الموت تختلف عما يحدث للإنسان عند النوم الطبيعي الذى لا تتوقف فيه الوظائف الحيوية، وتختلف أيضاً عما يحدث أثناء عملية التخدير العام لإجراء العمليات الجراحية كما يعرفها أطباء التخدير كما سيتضح لاحقا.

ماذا يرى العائدون من تجربة الاقتراب من الموت:

بعبارة أخرى ماذا يرى الأشخاص الذين توقفت قلوبهم وماتوا سريرياً ثم عادوا للحياة، بما يعرف بتجارب الاقتراب من الموت (Near-Death Experiences).

تختلف هذه الرؤى من شخص لآخر لكن هناك قواسم مشتركة تكررت في شهادات الآلاف عبر العالم، حيث يصف هؤلاء مشاهد متشابهة مثل الانفصال عن الجسد، رؤية نفق مظلم ينتهي بنور ساطع، مراجعة شريط الحياة، الشعور بسلام عميق أو مواجهة كائنات روحية وأبرزها ما يلى.

1- تجربة مشاهدة الروح للجسد: يصف الأشخاص كأنهم قد انفصلوا عن أجسادهم المادية وأنهم يرونها من الأعلى (من السقف مثلاً) ويراقبون الأطباء والمحيين بها، وهم يحاولون إنعاشهم بل ويصفون بدقة تفاصيل ما كان يحدث رغم فقدانهم للوعي سريرياً.

2- النفق والنور: من أشهر المشاهد وصف المرور بسرعة من خلال نفق مظلم وضيق ينتهي بنور أبيض قوي وجذاب يمنح شعوراً غامراً بالسلام والطمأنينة.

3- مراجعة الحياة: استعراض سريع لأحداث الحياة، الأفكار، والمشاعر، وكأنها فيلم يمر أمامهم، مع تقييم أخلاقي لتصرفاتهم كأنها رؤية "بانوراما" سريعة لجميع الأحداث التي مروا بها حيث يستعرضون مواقفهم ومشاعرهم السابقة وكأنها تُعرض أمامهم في ثوانٍ معدودة.

4- لقاءات روحية: يذكر البعض رؤية أقارب أو أحباء متوفين يستقبلونهم أو كائنات نورانية توصف أحياناً بـ الملائكة أو المرشدين الروحيين والشعور بمحبة وسلام غير مشروط.

5- انعدام الألم: اختفاء الآلام الجسدية فوراً والشعور بخفة وهدوء وسعادة، وأحياناً رؤية مشاهد مفزعة في حالات أخرى.

6- مشاهدة لمحات عن الأحداث المستقبلية: قد تكون هذه اللمحات المستقبلية خاصة بالشخص نفسه أو بالآخرين أو حتى على مستوى الأوطان كما حدث فعلاً في تجربة الطيار العراقي فهد السعدون (المرفقة بالمراجع).

7- الحدود الفاصلة: يشعر العائدون بوجود حاجز أو خط لا يمكن تجاوزه ويدركون في تلك اللحظة أن عليهم العودة إلى الحياة مرة أخرى.

8- حدثنا أحد الزملاء الثقات رحمه الله أن منهم من رأى كائنا نورانيا عظيما يعاملهم برفق فيدنو منهم ويعرض عليهم كامل تفاصيل حياتهم ويعاتبهم برفق ويذكرهم بأخطائهم وتقصيرهم، فكانوا يعترفون بما اقترفوا وكان يعاملهم بمحبة ولم يعاملهم بما يستحقون، ولم يفضحهم أمام غيرهم، بل كان العتاب سراً ولذلك تأثروا جدا برحمته وذرفت دموعهم وأحبوه وتمنوا عدم مفارقته والعودة مرة أخرى إلى الحياة!.
ويلاحظ أن كثيراً منهم قد بدل نمط حياته للأفضل بعد مروره بهذه التجربة، خصوصا بعد أن علم أن كل عمل يفعله مهما كان تافها فإنه يسجل عليه وسيعرض ويحاسب عليه بعد الموت.

9- ومنهم ممن مروا بهذه التجربة من التقوا بكائنات نورانية يتحدثون معهم بالتخاطر حيث لا زمان ولا مكان ويتنقلون لحظيا، وقسمٌ منهم عرضت لهم الجنان ونعيمها جعلنا الله من أهلها واحيانا الجحيم واهوالها

أعاذنا الله منها حسب حالة الشخص المحاسب، كما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف مصداقاً لذلك.

وكذلك يلتقون مع أقربائهم وحتى مع أسلافهم الذين لم يعرفونهم ويقولون لهم وكذلك من قبل الكائنات النورانية ان اعمارهم لم تنته بعد وبالتالي تعودون للحياة لحين حصول الأجل... وغير ذلك من الأمور التي تثبت ان هذه التجربة الروحية ليست أحلاما أو معلومات مخزونة في الدماغ او هلوسات كما يفسرها بعض من يدعون علوم النفس والأعصاب؟! وانما منحة من الله تعالى لبيان صدق ما وعد الله لعباده. وهذه التجارب تؤكد على وجود الروح والجسد والحياة بعد الموت مما يرد على الملحدين والمكذبين.

التفسير العلمي والديني:

1- الناحية العلميةً:

يربط بعض العلماء هذه الظواهر بنشاط الدماغ في اللحظات الأخيرة عند نقص الأكسجين أو تأثير الأدوية أو آلية دفاعية من العقل الباطن. ويرجح بعض الباحثين (مثل الطبيب "سام بارنيا") أن الدماغ يظل نشطاً لعدة دقائق بعد توقف القلب، مما قد يفسر هذه الرؤى كنشاط عصبي مكثف أو محاولة من العقل لتسهيل عملية الموت.

وقد لاحظ باحثون من جامعة ميتشيغان زيادة نشاط الموجات الدماغية التي تعرف بـ"موجات غاما" التى ترتبط بعمليات مثل الحلم والتأمل واسترجاع الذاكرة وهذا الأمر أتاح معرفة ما يشعر به الإنسان وهو في الدقائق الأخيرة من حياته مما يؤكد ان تجارب الاقتراب من الموت حقيقية وليست محض خيال.

ويختلف النوم والتخدير العام وتجربة الاقتراب من الموت (NDE) جذرياً في الوعي والنشاط الدماغي والقدرة على الاستيقاظ كما فى البيان التالى.

- النوم (Sleep): هو حالة طبيعية ودورية من الراحة، يحتاجها الجسم لتجديد الطاقة مع غياب مؤقت للوعي لكن الدماغ يظل نشطاً جداً (خاصة في مرحلة الأحلام). ويمكن الاستيقاظ بسهولة عند التعرض لمؤثر خارجي (صوت عالٍ أو لمس). ووظائف الجسم الحيوية (التنفس، نبض القلب) تستمر بشكل طبيعي وتلقائي.

– التخدير العام (General Anesthesia): هو غيبوبة اصطناعية مؤقتة (مُعايرة) عن طريق الأدوية تهدف لإيقاف الشعور بالألم أثناء الجراحات. مع غياب كامل وعميق للوعي (أشبه بالغيبوبة المؤقتة) حيث يتم "إيقاف" التواصل بين مناطق الدماغ. ولا يمكن الاستيقاظ منه بأي مؤثر خارجي حتى ينتهي مفعول الدواء. والدماغ لا يستطيع التحكم في وظائف الجسم؛ لذا يحتاج المريض غالباً لجهاز تنفس اصطناعي ومراقبة دقيقة للعلامات الحيوية.

– تجربة الاقتراب من الموت (Near-Death Experience – NDE): هي ظاهرة نفسية وفسيولوجية تحدث عندما يقترب الشخص من الموت أو يواجه صدمة مهددة للحياة. يصفها الكثيرون بأنها "وعي فائق" أو حاد جداً. رغم أن الدماغ قد يظهر نشاطاً ضئيلاً أو معدوماً مع (توقف القلب أو التنفس). وتتضمن رؤى بصرية (نفق، ضوء، استعراض شريط الحياة) وشعوراً بالانفصال عن الجسد.

– باختصار: النوم راحة طبيعية، التخدير غيبوبة دوائية، وتجربة الاقتراب من الموت ظاهرة إدراكية استثنائية تحدث في الحالات الحرجة. في النوم والتخدير، الدماغ يعمل تحت ظروف بيولوجية معينة، أما في الـ NDE، فغالباً ما تحدث التجربة في لحظات حرجة يكون فيها تزويد الدماغ بالأكسجين في أدنى مستوياته.

2– الناحية الدينية:

دلت نصوص القرآن والسنة على أن هذه الحياة الدنيا لها حياة أخروية تقابلها وهي الآخرة، وأن الخلائق ستبعث للحساب والجزاء على أعمالهم، وأن الدنيا ليست هي النهاية، إنما هي قنطرةٌ للآخرة.

كما أكدت نصوص القرآن والسنة أن الحياة الدنيا دار ممر ومتاع مؤقت، بينما الآخرة هي دار القرار والخلود، حيث جعلت الدنيا مزرعة للآخرة، والموت جسراً للانتقال إليها. وتتضمن حياة البرزخ في القبر، ثم البعث والحساب والجزاء (جنة أو نار)، معتبرةً الآخرة هي الحياة الحقيقية الدائمة.

أدلة القرآن الكريم والسنة النبوية:

الدار المؤقتة والدار الباقية: قال تعالى: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} (سورة غافر: 39).

حقيقة الدنيا: وصفها الله بأنها {لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ}، وأنها {مَتَاعُ الْغُرُورِ} (سورة الحديد: 20).

علاقة الدنيا بالآخرة: أمر الله بالعمل للآخرة دون إهمال الدنيا: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} (سورة القصص: 77).

حياة البرزخ: الإيمان بأن الموت ليس النهاية، بل بداية لحياة برزخية في القبر (نعيم أو عذاب) تسبق البعث النهائي.

السنة النبوية: أرشد النبي ﷺ في قوله: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"، مما يرسخ مفهوم الانتقال لحياة أخرى أبدية.

ثم إن موقع روح الإنسان بعد موته ودفنه وما يحدث له يختلف باختلاف هذا الميت أو ذلك، فروح المؤمن تأخذها ملائكة الرحمة فيصعدون بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادى مناد في السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وأفتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: له من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي..

وأما روح الكافر فتأخذها ملائكة العذاب إلى سجين في الأرض السفلى فتطرح فيها طرحاً ثم تعاد إلى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري، فينادى مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار، وافتحو له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها.. وقد جاءت هذه التفاصيل في عدة أحاديث منها الحديث الطويل الذي رواه الإمام أحمد في المسند وبعضه في الصحيحين فالحياة البرزخية تختلف عن الحياة الدنيوية وعن الحياة الأخروية من وجوه كثيرة أهمها أن الروح تتعلق بالبدن تعلقا خاصا فإنها وإن فارقته وتجردت عنه عند قبضها فإنها لا تفارقه بالكلية بحيث لا يبقى لها التفات البتة وإنما ترد إليه في بعض الأوقات كردها عند سؤال الملكين وتسليم المسلم عليه عند زيارته له. وهذا الرد هو إعادة خاصة للروح لا توجب حياة البدن قبل البعث.

وهذه الحياة البرزخية تقتضي معرفة الميت لمن يزوره من الأحياء وسماعه لخطابهم على الراجح وقد قال الإمام بن القيم في كتاب الروح (والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به).

وقد أفاض القرطبي في التذكرة وابن القيم في كتاب الروح في تفصيل مراحل هذه الحياة والتعرف عليها عن كثب وجمعا في ذلك جمعا طيبا. ومع ذلك فإن حقيقة الأمر تبقى غائبة عن الكل لا يعلمها إلا الله تعالى، وعلى المسلم الإيمان والتسليم (إسلام ويب).

يرى بعض علماء المسلمين أن تجارب الاقتراب من الموت (Near-Death Experiences) تقع ضمن مقدمات مفارقة الروح للجسد وهي ظاهرة لا تتعارض مع العقيدة الإسلامية بل قد تجد لها شواهد في التراث الإسلامي. وفيما يلي تفصيل لرؤية العلماء والمفاهيم المرتبطة بها:

1- مفهوم الوفاة والروح: يؤكد العلماء أن الوفاة الحقيقية هي "مفارقة الروح للبدن". وتوقف القلب أو موت الدماغ يُعد عند البعض علامة على الوفاة وليس الوفاة نفسها، حيث يمكن أن تعود الحياة بالإنعاش أو بقدر الله، مما يفسر حدوث هذه التجارب دون دخول كامل في عالم الموت.

2- سكرات الموت ومعاينة الغيب: يشير العلماء إلى أن الإنسان عند دنو أجله يمر بـ "سكرات الموت". وفي هذه اللحظات، قد يُكشف للشخص شيء من عالم الغيب (كالملائكة أو مقعده من الجنة أو النار)، وهو ما قد يفسر "الرؤى" التي يتحدث عنها من خاضوا التجربة.

3- التراث الإسلامي (من عاش بعد الموت): توجد مؤلفات قديمة تناولت حالات مشابهة، مثل كتاب "من عاش بعد الموت" لابن أبي الدنيا، حيث استعرض قصصاً لأشخاص توقفت وظائفهم الحيوية ثم عادوا للحديث عما رأوه.

4- الفرق بين التجربة واليقين: يفرق العلماء بين ما يراه الشخص في هذه الحالة وبين حقائق الآخرة النهائية. فالتجربة هي "اقتراب" وليست "موتًا كاملاً"؛ لذا فإن ما يُرى فيها قد يكون تبشيرًا أو تحذيرًا أو انعكاسًا لحالة الروح قبل الخروج.

5- الشعور بدنو الأجل: يذكر بعض العلماء أن بعض الأشخاص قد يشعرون بقرب أجلهم أو تظهر عليهم علامات السكينة والهدوء، وهو ما يتوافق مع وصف الكثيرين للتجربة بالسلام المبهج.

بعض المصادر العلمية عن تجربة الاقتراب من الموت:

تعتمد الدراسات العلمية حول تجارب الاقتراب من الموت (NDEs) على أبحاث رائدة توثق شهادات حية وتفسر الظاهرة نفسياً وعصبياً. أبرز المصادر تشمل أعمال ريموند مودي (Life After Life)، وأبحاث بيم فان لوميل طبيب القلب الهولندي حول السكتة القلبية، ودكتور ملفن موريس أخصائي طب الاطفال الذى كتب عدة كتابات عن الاطفال الذين مروا بهذه الظاهرة. ومقياس بروس غريسون لتصنيف التجارب. تركز الأبحاث الحديثة على دور الدماغ ونقص الأكسجين في توليد هذه التجارب.

أكثر ما ادهش الاطباء والباحثين في هذه الظاهرة هو ان الناجين من الموت كانوا يصفون للاطباء بدقة شديدة ماكان يفعله ويقوله الطاقم الطبي الملتف حول اجسادهم الهامدة في وقت كانت كل الاجهزة الطبية الموصولة بادمغتهم وقلوبهم تؤكد حدوث الموت السريري المؤقت لهم.

وبما أن معظم الذين حدثت لهم تجربة الاقتراب من الموت كانوا مرضي بمستشفيات خلال مرورهم بتلك التجربة لذا فان أهم دارسي هذه الظاهرة هم من الاطباء نستعرض بعضها فيما يلى.

1- دكتور ريمون مودي: رائد هذا الحقل وهو طبيب حاصل علي درجة الدكتوراه يعمل حاليا أستاذا جامعيا ورئيس قسم بجامعة نيفادا الامريكية. وهو أول من نشر كتابا عن ظاهرة ال NDE عام 1975 بعنوان ' حياة بعد حياة ' وفي كتابه يصف بعض من مروا بتلك التجربة بأنها كعودة المرء لداره او كالتخرج او الهروب من السجن او كاليقظة بعد النوم.

2- دكتور بيم فان لوميل: صاحب أهم الدراسات غير الامريكية حول تلك التجربة وهي دراسة هولندية تمت عام 1988 باشراف دكتور بيم فان لوميل وأطباء آخرون درسوا حالة 344 مريضاً نجوا من السكتة القلبية وتم نشر هذه الدراسة المفصلة في مجلة لانست (Lancet) البريطانية للبحوث الطبية المعتمدة.

فى بحث د. بيم فان لوميل أخصائي أمراض القلب الهولندي حشد 51 مرجعاً علمياً وفى أطروحة بحثه هذا خلص إلى أن وعي الإنسان بذاته سيستمر بعد الموت. ونتيجة لأبحاثه المتعددة قد أصبح متشككا فيما هو متفق عليه في الأوساط العلمية حول طبيعة ووظيفة المخ. فالنظرية العلمية السائدة منذ عشرات السنين تؤمن بأن كل مايعرفه الشخص من معلومات يتم تخزينها داخل جهاز المخ. وعند موت المرء يتعطل عمل المخ ولايمكن استرجاع المعلومات التي خزنت فيه.

اما فى في كتاباته ومقابلاته يحوم دكتور بيم فان لوميل حول الدعوة لنظرية جديدة حول طبيعة عمل المخ حيث يفترض أن المعلومات التي تتكون منها شخصية الفرد وسلوكياته مخزنه ايضاً في مكان آخر خارج المخ بل خارج جسد الانسان وعندما يتعطل المخ فإن المعلومات لا تمحى وممكن استرجاعها حيث يقيض لهم استخدام أدوات أخرى أكثر حدة وجودة لانعرف عنها شيء. لا أدرى لماذا ذكرنى استنتاج دكتور بيم فان لوميل بقول الله تعالى: هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (الجاثية: 29). وهذا معناه ان المعلومات محفوظة فى كتاب سيعرض على صاحبه يوم الحساب!.

فى النهاية صرح دكتور بيم فان لوميل بانه بعد أبحاثه ودراساته لظاهرة الاقتراب من الموت قد وصل إلى قناعة تامة بان الجسد والروح شيئين منفصلين وان الوعي بالذات سيستمر بعد الموت وأنه قد اصبح يؤمن بان الموت ليس نهاية المطاف بل هو باب نولج منه لنوع آخر من الحياة.

3- دكتور ملفن موريس: أخصائي طب الاطفال والبروفسير بجامعة ولاية واشنطون فيعتبر من رواد دراسة تجربة الاقتراب من الموت عند الاطفال فقد كتب عدة كتابات عن الاطفال الذين مروا بهذه الظاهرة. فقد قام باجراء دراسة مع ثمانية آخرين نشرت في 'الدورية الامريكية لامراض الاطفال' عدد نوفمبر 1986 توصل فيها لقناعة تامة بأن المرضي الذين يمرون بال NDE يجب أن يكونوا علي حافة الموت حتي يمروا بتلك التجربة (مقارنة مع 121 مرضي آخرين ذو حالات خطرة - وآخرون يتعاطون أدوية مخدرة لكنهم لم يكونوا علي حافة الموت- لم تتوقف قلوبهم وادمغتهم عن العمل مؤقتا).

في كتابه 'قريب من النور' يذكر اهتمام كيم كلارك اخصائية العلاج النفسي بمستشفي بمدينة سياتل وزميلته في الدراسة المذكورة بتجربة الاقتراب من الموت قد بدأ عندما التقت كيم كلارك بمريضة قلب بالمستشفي الذي تعمل فيه وذلك لتقديم النصح النفسي للمريضة التي مرت بذبحة صدرية حادة. لم تكن المريضة مهتمة بنصائح كيم بل كانت راغبة في اخبارها كيف انها قد خرجت من جسدها اثناء محاولة الاطباء انقاذها وكيف انها وهي خارج جسدها كانت ترى كل المستشفي من اعلى الجو. ولاثبات ذلك اصرت المريضة بأنها وهي في تلك الحالة قد رات فردة حذاء في مسطبة فوق شباك مكتب كيم كلارك الواقع في الطابق الخامس عشر من المستشفى. فتحت كيم الشباك ولم ترى الحذاء وهي داخل مكتبها إلا أنه مع اصرار المريضة تسلقت كيم حافة الشباك ومدت يدها أعلى المسطبة وهنالك عثرت على فردة الحذاء!.

يذكر د. موريس بان تفاصيل تجربة الاقتراب من الموت عند الاطفال مشابهة للتجربة عند الراشدين الا في جانب واحد الا وهو خلو تجارب الاطفال من مراجعة ماعملوه أثناء حياتهم أي أن اعمالهم لا تعرض

عليهم ولا يسألون عنها كما يحدث عند البالغين. وهذه الملاحظة العجيبة تذكرنا بقول المصطفى عليه الصلاة والسلام بإسناد صحيح: رُفِع القلمُ عنْ ثلاثةٍ عنِ الصغيرِ حتى يبلُغَ وعَنِ النائمِ حتى يستيقظَ وعنِ المصابِ حتى يُكشفَ عنهُ. وفى قول صحيح آخر: عن المجنونِ حتَّى يبرأَ، وعن النَّائمِ حتَّى يستيقظَ، وعن الصَّبيِّ حتَّى يعقِلَ.

4- الدكتور بروس غريسون: أستاذ فخري في الطب النفسي وعلوم الأعصاب السلوكية بجامعة فرجينيا، عمل سابقًا في هيئة التدريس الطبية بجامعة ميشيغان وجامعة كونيتيكت، قدّم الدكتور غريسون استشاراته للمعاهد الوطنية للصحة، وشارك في ندوات حول الوعي في الأمم المتحدة وفي مقر الدالاي لاما في دارامسالا، الهند. حصل على جوائز تقديرًا لأبحاثه الطبية، وانتُخب زميلًا مدى الحياة متميزًا في الجمعية الأمريكية للطب النفسي، وهو أعلى تكريم تمنحه هذه الجمعية.

بدأ اهتمام الدكتور غريسون بتجارب الاقتراب من الموت بعد أشهر قليلة من تخرجه من كلية الطب، عندما عالج مريضة فاقدة للوعي في قسم الطوارئ، فاجأته في صباح اليوم التالي بروايتها عن مفارقة جسدها. وبعد اكثر من 50 عاما من الابحاث حول تجارب الاقتراب من الموت في جامعة فرجينيا التى بدات في منتصف سبعينيات القرن الماضي وعلى مدار مسيرته المهنية، درس الدكتور غريسون أكثر من ألف حالة، ووثّق آثارها العميقة على مواقف الأفراد ومعتقداتهم وقيمهم وشخصياتهم وخلص الى أنه لا يمكن اعتبار هذه التجارب مجرد أحلام أو هلوسات.

الخلاصة والإستنتاجات:

لوحظ في الآونة الاخيرة تسارع غير مسبوق في انتشار الإسلام في كافة أنحاء العالم على حساب انحسار الفكر الإلحادي بالرغم من حملات التشكيك والتشويه المسعورة والمتابع لهذا الامر يستطيع رصد بعض الأسباب ومنها.

اولاً: انكشاف زيف الدعايات المغرضة التى تشوه هذا الدين بعد مشاهدة العالم للأحداث الجارية والتأكد من نقاء ونزاهة الاسلام. يقول الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (الأنفال: 36).

ثانيا: الاكتشافات العلمية الحديثة وتوافقها مع كتاب الله الذى أنزل من قبل 14 قرناً على نبى أمى أثبت للباحثين والعلماء انه الحق من عند خالق هذا الكون وليس من قول بشر ولم تمتد اليه يد التحريف كما فى قوله تعالى: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (فصلت: 53).

ثالثا: الردود العلمية الموثقة وابطال حجج الملحدين المنكرين للبعث والنشور واليوم الآخر الذين وصفهم الله بقوله تعالى: إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (المؤمنون: 37). وذلك بالاجابة على اسئلتهم من خلال التجارب العلمية على عجب الذنب وكذلك تلك الابحاث العلمية الحديثة حول تجارب الاقتراب من الموت والتى بدورها برهنت على ما يلى:

١- وجود الروح التي تخرج من الجسد المادي.

٢- وجود عالم البرزخ الذي هو بين االموت النهائي والبعث وهذه التجربة تعتبر بمثابة عودة صغرى وهى برهان على وجود العودة الكبرى التى هى البعث للحساب والجزاء.

٣- الإيمان بالغيب الذي ذكره الله في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وخلاصته الإيمان بالله العلي القدير الخالق سبحانه وتعالى والإيمان باليوم الآخر والحساب والجنة والنار.

٤- ان الله يحب عباده خاصة الصالحين والمؤمنين به ويدخلهم جنات النعيم بمشيئته. وكذلك غيرهم من الذين لم تصلهم الرسالة على الوجه الصحيح (اهل الفترة) وخلت حياتهم من المخالفات وأذى الغير فقد يشملهم الله برحمته الواسعة لأن الله لا يظلم احداً!. وهذا في علم الله ولا نتآلى على الله كما قال الإمام الغزالي رحمه الله: دع الخلق للخالق!.

٥- هذه التجربة منحة الاهية وفرصة ذهبية لمن مروا بها لاستدراك مافات بالاستقامة وتغيير نمط حياتهم للخير والإيمان ومحبة الله ولقائه وعدم الخوف من الموت ولقاء الله.

6- ان التفسيرات العلمية والدينية لتجارب الاقتراب من الموت هى من أقوى الأدلة للرد على الملحدين والمشككين بعالم الغيب والبعث والنشور ويوم الحساب.

7- لا شك فى وجود حكمة ربانية وراء تجارب الاقتراب من الموت فقد تحمل انذارا وتنبيها عميق الاثر للإنسان ليعدل سلوكه قبل الموت الحقيقى حيث لا رجعة وقد تكون لعظة كافة الأحياء وكل هذا من رحمة الله بعباده.

ولذلك علينا الاهتمام بتدبر هذه التجارب بما تحمله من رسائل دون التسرع بالحكم عليها والتآلى على الله. فالله يفعل ما يشاء وعقولنا القاصرة لا تحيط بعلمه الا بقدر ما يشاء والله سبحانه لا يُسأل عن قضائه في خلقه وجميع خلقه يُسألون عن أفعالهم كما فى قوله تعالى: لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (سورة الأنبياء: 23).

8- ان هذه الدراسة هي أولية استقرائية عن تجارب الاقتراب من الموت وتحتاج الى المزيد من الدراسات المستقبلية والتدبر بعيدا عن التعصب لافكار مسبقة والكل مدعو للبحث فنحن لا ندري ماذا سيحمل لنا المستقبل فى ظل هذا التقدم العلمى والطبي والتقني المتسارع غير المسبوق خصوصا فى هذا العصر والذي كشف وسيكشف اللثام عن المزيد من المعلومات عن هذا الموضوع الهام.

يقول الله تعالى: وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (النمل: 93).
والله يقول الحق ويهدى الى سواء السبيل.

اهم المراجع:

1- دراسات مهمة حول تجارب الاقتراب من الموت
https://chatgpt.com/s/t_69c6cb84d6208191944283a76ab4b57c
2-تجارب الاقتراب من الموت ـ شاهدت الملائكة وماذا يحدث لحظة خروج الروح
https://youtu.be/AYbBPLclyAI?si=CeMhIBDTykhawDYb
3- قصة عودة الطيار العراقي فهد السعدون من الموت
/https://www.facebook.com/share/p/1GNtpMmu7n
4- كتاب الإنسان بعد الموت تأليف محمّد علي حسن الحلّي
5- الحادث الذي حصل مع الدكتور الشعال واقترب فيه من الموت
https://youtu.be/LUoWMZScvsM
6- تجربة الاقتراب من الموت – شبكة الألوكة
https://majles.alukah.net/showthread.php?t=56953

7- تجارب الاقتراب من الموت - قسم الدراسات الإدراكية
University of Virginia School of Medicine
https://med.virginia.edu › Home › DOPS Research
https://med.virginia.edu/perceptual-studies/our-research/near-death-experiences-ndes/

إعداد ومراجعة:
1- أ. د. محمد جميل الحبال/ العراق- الموصل. استشاري الطب الباطني وامراض الكلية. عضو وزميل الكليات الطبية الملكية البريطانية (لندن) وباحث في التفسير العلمي والطبي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

2- أ. د. فتحى نعينع / جمهورية مصر العربية - الاسكندرية. استشاري طب وجراحة العظام والإصابات. باحث في التفسير العلمي والطبي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.
فى 16 شوال 1447هـ الموافق 4 نيسان ٢٠٢٦م.